

كتاب الوراثة في القرآن

من فكر السيد أبي عبد الله الحسين القحطاني

بقلم حسين الحلي

نظرة عامة

لقد مرت المجتمعات الإنسانية بمراحل متعددة من التطور ابتداءً من الحالة الفردية إلى الحالة العائلية ثم إلى الحالة القبلية مروراً بالتجمع السكاني الصغير . القرية . إلى إن وصل الأمر إلى التكوينات السكانية الضخمة . الشعوب والدول ، ورافق هذا التطور الاجتماعي تطور علمي بطيء نوعاً ما

، فقد ابتدأ متعزراً بسبب فقر الإمكانيات والوسائل ، لكن سرعان ما تسارعت وسائل التطور العلمي بتطور الأساليب والوسائل المساعدة على البحث وتطور الوعي الإجتماعي لجدوى الكثير من العلوم .

ومن هذه العلوم التي مرت بالمراحل المذكورة هو علم الوراثة الذي كان متمثلاً ببعض المفاهيم والمسلمات المعروفة اجتماعياً والتي كانت حصيلة تجارب ومشاهدات متعاقبة ، كانت تترجم على شكل أمثال ومقولات وربما أبيات من الشعر تتناقلها الألسن ، مثل (ثلثي الولد على الخال) أو (الولد على سر أبيه) أو (من شابه أباه فما ظلم) .

ثم تطور الأمر شيئاً فشيئاً إلى إن جاء بعض العلماء وقاموا بدراسة انتقال الصفات الوراثية بين الأجيال ومن هؤلاء العلماء (مندل) صاحب قوانين الوراثة المعروفة .

ثم استمر هذا العلم في التطور إلى إن اكتشف الكثير من الحقائق عن علوم أخرى مثل علم (الأجنة) وعلم (الهندسة الوراثية) بعد اكتشاف الحوامض النووية المسؤولة عن نقل الصفات الوراثية DNA,RNA واكتشاف الكروموسومات الوراثية الحاملة للجينات الوراثية .

الفصل الأول

الهندسة الوراثية وانتقال الجينات

الهندسة الوراثية حسب تعريف أهل الاختصاص هي التقنية التي تتعامل مع الجينات أو الوحدات الوراثية المتواجدة على الكروموسومات فصلاً ووصلاً وإدخالاً لأجزاء منها من كائن إلى آخر بفرض إحداث حالة تمكن العلماء من

معرفة وظيفة الجين أو بهدف الحصول على طبعات جديدة من نواتجه وغير ذلك .

فبعد أن عرف العلماء طبيعة وظيفة الصبغات أو الكروموسومات وهي أجسام صغيرة جداً لا ترى بالعين المجردة وتوجد داخل كل خلية وهي مكونة من أشرطة تحمل صفات الكائن الحي وهذه الأشرطة تسمى الجينات .

ولقد كان الاعتقاد السائد بين علماء الهندسة الوراثية بأن هذه الأشرطة مسؤولة عن الصفات المادية . الجسدية . ولكن التطور العلمي في هذا المجال أثبت خطأ هذه الفكرة حيث اكتشف العلماء إن هناك إنزيمات وراثية تكون مسؤولة عن الصفات المعنوية من أسلوب التفكير والتصرف والطباع والميولات والصفات النفسية الايجابية والسلبية ، وهذا بطبيعة الحال موافق بصورة كبيرة لما هو معاش ومتعارف عليه إجتماعياً .

فكثيراً ما يشار إلى عائلة ما بأنها معروفة بالكرم وأخرى بالكياسة والهدوء وأخرى بالرعونة وسرعة الانفعال وغيرها بالشح وقوم بالشر والعدوانية إلى غير ذلك من المواصفات خيرها وشرها .

وعلى ذلك تكون هنالك أنزيمات وراثية مسؤولة عن نقل صفة الحسد مثلاً وأخرى مسؤولة عن الطمع وغيرها عن العدوانية وبالمقابل فإن هناك أنزيمات مسؤولة عن نقل صفات الشجاعة وأخرى عن صفة الزهد وغيرها عن صفة الورع كما ورد في الحديث (الحسد في كل ولد آدم فالكريم يخفيه واللئيم يبديه) أي إن الحسد في الكريم صفة متنحية كما يعبر علماء الوراثة وفي اللئيم صفة سائدة .

وقد استطاع علماء الوراثة في الآونة الأخيرة اكتشاف جين جديد أسموه جين الإيمان والعرفان ، يكون مسؤولاً عن نقل صفة الاستقامة والالتزام بالأوامر والنواهي الشرعية ويدفع نحو العصمة وعدم الخطأ ، فكلما كان هذا الجين فعالاً كان الشخص الحامل له مستقيماً وميلاً إلى أداء العبادات بكل اشكالها والعكس بالعكس وليس الامر مقتصرراً على ذلك فإن الكثير من

الأمراض الفسلجية والغير الفسلجية تبين إنها تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء كأمراض العيون وأمراض الدم وشلل الأطفال الولادي والكثير من الأمراض والحالات .

ومن الحقائق الوراثية في الجانب العلمي هو إنتقال الأمراض العقلية بالوراثة مثل الجنون فعادة ما يكون ولد المجنون ذو تصرفات وصفات تتسم بالغرابة ولذا نجد إن بعض الدول الغربية تمنع زواج المجانين بل وتقوم بجمعهم وتعطيل الجهاز التناسلي حتى لا تولد لهم ذرية عند الاتصال الجنسي .
ومما يندرج تحت هذا الإطار هو انتقال المهارات الروحية والنفسية من الآباء إلى الابناء فكثيراً ما نرى من هو مشتهراً بالفراسة فيولد له ولد أو بنت لهما نفس المواصفات من غير تعلم ، أو نرى من هو معروف بالمبارزة والرماية فيكون من صلبه من هو مبارز ورامي جيد .

ومن هذا المنطلق كان العرب وما زالوا يهتمون بالمحافظة على نقاء سلالات خيولهم لأنها تحمل مواصفات مميزة ، وشبيه ذلك ما يفعله مربين بعض الحيوانات كالديكة والصقور وبعض الطيور الجارحة بل وحتى كلاب الصيد .

خلاصة القول :

توصل علماء الوراثة إلى إن الجينات الوراثية هي التي تنقل الرسالة الوراثية - الشفرة الوراثية - من جيل لآخر حيث لها الإمكانية على توجيه نشاط كل خلية وهذه الخلية عبارة عن جزيئات عملاقة تكوّن ما يشبه الخيوط الرفيعة المجدولة التي يطلق عليها (الحامض النووي المختزل) وتحتوي هذه الرسالة . الشفرة الوراثية . على كل الصفات الوراثية من لون العينين إلى ادق التركيبات الأخرى في الجسم بما في ذلك القدرة والكفاءة ومستوى الذكاء وما إلى ذلك من التفاصيل الأخرى ، وتعتبر الهندسة الوراثية البشرية

إحدى التطبيقات لعلم الوراثة وقد أثار هذا النوع جدلاً كبيراً في الأوساط العلمية والاجتماعية والسياسية .

ويقول علماء الهندسة الوراثية إن هذا الفرع من الوراثة هو ثورة تقنية جبارة تهدف إلى اضافة جينات جديدة تحمل إلى الكائن الحي صفات لم تكن موجودة في الجيل السابق لحين تجاوز التراكيب الوراثية الموجودة إلى تراكيب جينية أفضل بقصد إصلاح عيب أو خلل في المادة الوراثية أو تحسين الصفات العامة للأفراد عن طريق اعادة الخريطة الجينية .

مع العلم أنهم اثبتوا إمكانية إنتقال (الشفرة الوراثية) بتفصيلاتها المتناهية الدقة من شخص لآخر وفق الوضع الطبيعي الذي يعيشه الإنسان ، فمن الممكن جداً لأي إنسان أن يولد له مولود يشبه احد آبائه أو اجداده في الصفات الروحية والمعنوية ، بل من الممكن أن يولد مولود تكون له نفس المواصفات الداخلية والخارجية من مضمون داخلي وصورة خارجية لأحد الآباء أو الأجداد وكل ذلك وفق قانون الجينات والرسالة الوراثية الذي اكتشفه العلم الحديث وبين قابليته على نقل الشفرة الوراثية من جيل إلى جيل وليس من أب إلى ابن فقط .

ولكن ما هو رأي القرآن بذلك ؟ وما هو رأي السنة المطهرة لأهل البيت عليهم السلام ؟

الوراثة في القرآن

لقد بين البارئ جل وعلا في كتابه الكريم ، الذي هو { تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ } سريان قانون الوراثة في الخلق في آيات كثيرة من كتابه ومن هذه الآيات :

أولاً : قوله تعالى {وَاتِي خِفْتُ الْمَوَالِي مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} (١).

وفي هذه الآية يطلب زكريا (عليه السلام) من ربه إن يرزقه ولداً يكون وارثاً لأبيه ولأسلافه من آل يعقوب وهذا واضح الدلالة في إن الموروث هو ليس وراثته ما يتركه الميت من أموال وممتلكات فحسب وإن تضمنها بل يعني فيما يعنيه وراثته ما يحمله زكريا من صفات الأنبياء من الكمالات النفسية والملكات العلمية التي أهلتها لهذا المقام الإلهي وكذلك يرث ما اتصف به آل يعقوب من خصال متميزة وصفات كريمة كونهم اسلافه . وهو مرتبط معهم . وفق قانون الهندسة الوراثية . بشجرة وراثية تجعل من الممكن ظهور هذه الصفات فيه ولذلك قال { وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ } (٢).

ثانياً : قوله تعالى {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ} في هذه الآية تطبيق عملي واضح لقانون الوراثة حيث إن داود (عليه السلام) كان يتصف بمواصفات مميزة كقوله تعالى {وَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ} (٣) وقوله تعالى {وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخَطَّابِ} (٤). ثم وصفه بعد ذلك في نفس السورة بقوله تعالى {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} (٥).

بل إن سياق الآية في سورة النمل ينبأ بأن سليمان ورث من داود علماً وصفات أهلتها على أن يكون أفضل من باقي عباد الله حيث قال تعالى {وَلَقَدْ

١ - مريم ٥

٢ - مريم ٦

٣ - البقرة ٢٥١

٤ - سورة ص ١٦-٢٠

٥ - سورة ص ٢٦

آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ {^(٦) ولذلك نجد إنه سبحانه وتعالى يسمي داود وسليمان في سورة سبأ بآل داود بقوله {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ} {^(٧).

ثالثاً : قوله تعالى {ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} {^(٨) وقوله تعالى {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} {^(٩).

وقوله تعالى {فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ} {^(١٠).

وقوله تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} وقوله تعالى {ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} {^(١١).

وقوله تعالى {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا} والكثير من الآيات التي تبين إن الأنبياء والرسل والأوصياء ذرية بعضها من بعض وإن الطاعة والإيمان والمعرفة تنتقل وراثته من السلف إلى الخلف.

رابعاً : قوله تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} {^(١٢).

^٦ - النمل ١٥-١٦

^٧ - سبأ ١٣

^٨ - آل عمران ٣٤

^٩ - آل عمران ٣٨

^{١٠} - يونس ٨٣

^{١١} - الإسراء ٣

ولو لم يوجد في كتاب الله تعالى غير هذه الآية لكانت كافية فيما أردنا إثباته ، فالوراثة هنا تتعدى إلى العلم بل هي الوراثة الحقة .

فعن أبي عبد الله (عليه السلام) : (إن العلماء ورثة الأنبياء وذلك إن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً وإنما ورثوا أحاديث من أحاديث) (١٣).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) قال : (إن العلماء ورثة الانبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر) (١٤).

خامساً : قوله تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (١٥) فرغم الإيمان والهجرة والجهاد فلا بد من رحم وقربة بها تنتقل الصفات الوراثية الإلهية ، فأولئك (منكم) ولكنهم ليس من أولي الأرحام .

سادساً : قوله تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبِيَّةَ وَالكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} (١٦) . فالنبوة إنتقلت إلى الذرية بالوراثة وبطبيعة الحال لا يعني ذلك إن كل من هو من ذرية نوح وإبراهيم فهو مؤهل للنبوة ، ولا تكون النبوة في من وصفهم {وَكثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} .

سابعاً : قوله تعالى {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} (١٧) فرغم كون نوح نبي إلا إن ابنه كان على غير حال أبيه لمكان أمه التي كانت من الغابرين .

١٢ - فاطر ٣٢

١٣ - الكافي ج ١ ص ٣٢

١٤ - الكافي ج ١ ص ٣٤

١٥ - الأنفال ٧٥

١٦ - الحديد ٢٦

١٧ - هود ٤٥

ثامناً: قوله تعالى {وَوُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} (١٨) وهذه الآية تفيد خضوع الإمامة والوراثة لقانون الجعل الإلهي ، فكما إنه ليس باستطاعة أحد أن يكون إماماً ما لم يصطفيه الله كذلك الوراثة وقوانينها .

تاسعاً : قوله تعالى {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا* إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} (١٩) .
ونلاحظ في هذه الآية إن نوح (عليه السلام) ومن منطلق علمه الإلهي نكر إن الكافرين قد فقدوا كل الصفات الحسنة وتركزت في جيناتهم الوراثية كل الصفات السيئة بحيث إنهم إذا استمروا في التناسل فلا يأتي من ذريتهم إلا ما هو أسوأ منهم وأشد كفراً وهو المراد ومحل الشاهد من الآية .

الوراثة في السنة المطهرة

بعد أن بينا آنفاً تأييد الآيات القرآنية للانتقال الوراثي للصفات الجسمية والمعنوية فإن السنة الشريفة تؤكد هذا المعنى وتؤيده ، وهناك الكثير من الروايات الواردة عن الائمة المعصومين (عليهم السلام) بهذا الخصوص نسوق بعضها على سبيل الإختصار .

١٨ - القصص ٥

١٩ - نوح ٢٦-٢٧

الحديث الأول : روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) إنه قال لرجل : (ما ولد لك ؟ قال يا رسول الله وما عسى أن يكون لي اما غلاماً واما جارية ، قال فمن يشبه ؟ قال يشبه امه أو اباه ، فقال صلى الله عليه واله وسلم تسليماً لا تقل هكذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم)^(٢٠).
 إن هذا الحديث يؤكد على تواصل الجينات الوراثية على مر العصور وعدم انقطاعها ، فيكون اختيار الشفرة الوراثية للإنسان عند دخول النطفة الرحم ، ويشير الحديث إلى إن سلسلة الجينات الوراثية هذه متصلة بيننا وبين آدم (عليه السلام) والله تبارك وتعالى يختار بمشيئته ما يلائم هذه النطفة أو ما يريد لها جلت قدرته من جينات وراثية لأي نسب كان من أسلافه .

الحديث الثاني : عن أبي جعفر (عليه السلام) قال (أتى رجل من الأنصار رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) فقال : هذه ابنة عمي وأمراتي لا أعلم منها إلا خيراً وقد اتتني بولد شديد السواد منتشر المنخرين جعد ققط أفطس الأنف لا أعرف شبيهه في أحوالي ولا في أجدادي ، فقال صلى الله عليه واله وسلم تسليماً لأمراته ما تقولين ؟ قالت لا والذي بعثك بالحق نبيا ما اقعدت مقعدة مني منذ ملكني أحداً غيره ، قال فنكس رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تسليماً برأسه ملياً ثم رفع بصره ملياً إلى السماء ثم أقبل على الرجل فقال : يا هذا إنه ليس من أحد إلا وبينه وبين آدم تسعة وتسعون عرقاً كلها تضرب في النسب فإذا وقعت النطفة في الرحم اضطربت تلك العروق تسال الله الشبه لها فهذا من تلك العروق التي لم يدركها اجدادك ولا اجداد اجدادك خذ اليك ابنك ، فقالت المرأة فرجت عني يا رسول الله)^(٢١).

٢٠ - بحار الانوار ج٧ ص٩٤

٢١ - الكافي ج٥ ص٥٦١

وطبقاً لهذا الحديث فمن الممكن إن يولد لأحدهم مولود لا يشبه أباه ولا أمه ، وقد لا يكون فيه شبه من أخواله أو أعمامه أو حتى أجداده ، فإن النسل الوراثي متواصل كما ذكرنا إلى آدم (عليه السلام) .

الحديث الثالث : ورد عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : قال النبي (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) : (اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين)^(٢٢). وهذا الحديث يشير إلى دور الأم والأخوال في بلورة شخصية الولد ، وفعالية الشفرة الوراثية من جهة إلام .

الحديث الرابع : روي محمد ابن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : (سأله بعض أصحابنا عن الرجل المسلم تعجبه المرأة الحسناء ، أيلصق له إن يتزوجها وهي مجنونة ؟ قال : لا ، ولكن إن كانت عنده أمة مجنونة فلا بأس أن يطأها ولا يطلب ولدها)^(٢٣).

إن مضمون هذا الحديث ينطبق تماماً على مع ما اثبتته العلم الحديث من إمكان انتقال الجنون إلى الأبناء بالوراثة لذا أوصى الإمام (عليه السلام) بعدم طلب الولد من أم مجنونة .

الحديث الخامس : ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : (واشهد إن محمداً عبده ورسوله وسيد عباده كلما فسح الله الخلق فريقين جعله في خيرهما ، لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر ...) ^(٢٤).

٢٢ - الوسائل ج ٤ ص ٢٨٠٢٩

٢٣ - الوسائل ج ٤ ص ٥٧ ، من هدى النبي والعترة ج ٢ ص ٣٣٦

٢٤ - نهج البلاغة خطبة ٢١٤

وبالنتيجة ((فإن السنة المطهرة تؤيد وتتفق مع آيات القرآن في إن القوانين الوراثية لها الأثر الأكبر في انتقال الصفات الخلقية والخلقية من الوالدين بل من الاسلاف إلى الأبناء)). .

الوراثة في التاريخ الإسلامي

يذكر لنا التاريخ الإسلامي نماذج من الشبه الوراثي بأشكاله الظاهرية والمعنوية سنذكر منه بعض النماذج اتماماً للفائدة :

النموذج الأول : ذكر أصحاب المقاتل وكل من أرخ مصيبة كربلاء الحسين (عليه السلام) لما رأى ولده علي الأكبر قد برز إلى أرض المعركة قال (اللهم اشهد فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلُقاً برسولك صلواتك عليه وآله وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه) (٢٥).

وفي كلام سيد الشهداء (عليه السلام) دلالة واضحة على إن ولده علي الأكبر كان شديد الشبه بجده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) من الناحية الخلقية وليس ذلك فحسب بل إنه كان يشبهه خلقياً أي من جهة الاخلاق والشمائل والسجايا وهذا هو مقتضى إرادة الله سبحانه وتعالى من سن قوانين الوراثة .

النموذج الثاني : إن أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء أخاه عقيلاً فقال له : أريد إن تخطب لي امرأة ولدتها فحول العرب وكان عقيل عارفاً بأنساب العرب وقبائلها ، فذكر له أم البنين فاطمة بنت أسد الكلابية فتزوجها فولدت

له اربعة من الإبطال هم أبو الفضل العباس وإخوته ، وأمر شجاعة العباس وبسالته المنقطعة النظير مما لا يخفى على أحد فقد جمع أصول الشجاعة من طرفين من أبيه اشجع من خلق الله ومجندل الأبطال ومن اخواله المعروفين بالبطولة والشجاعة ، فأجتمعت فيه الصفات الوراثية من جهتين اجتماعاً مثالياً .

النموذج الثالث : ورد في بعض الكتب التاريخية إن العاص بن وائل قال بحق رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) (إنه ابتر ليس له ذرية فنزلت سورة الكوثر واخبرت إن قائل الكلام هو الأبتري وأما ذرية محمد (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) فباقية) (٢٦).

فتبين من ذلك إن العاص بن وائل هو الابتر ولا ذرية له ، فيكون عمرو ابن العاص، دعي لا يصح نسبته إلى العاص كما هو شأن أعداء أمير المؤمنين فقد ورد عن جابر قال : (قال أبو أيوب الأنصاري عرضوا حب علي على أولادكم ، فمن أحبه فهو منكم ، ومن لم يحبه فاسألوا أمه من أين جاءت به ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب : لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق أو ولد زنية أو حملته أمه وهي ظامث) (٢٧).

وكانت النابغة أم عمرو من ذوات الرايات في الجاهلية وقد نسب عمرو هذا إلى خمسة منهم أمية ابن خلف وأبو سفيان وأبو لهب والعاص بن وائل وقد سئلت لم دعته إلى العاص فقالت : إنه كان ينفق عليها وعلى عيالها وقد كان عمر بن العاص أشبه بأبي سفيان ، فبئس الخلف لبئس السلف ، وقد ورث عمرو عن أبي سفيان عداً رسول الله ووصيه كما ورث عنه ظاهر الخلق ، كما ورث زياد بن أبيه عن أبي سفيان عداً رسول الله ووصيه

٢٦ - منهاج الصالحين ص ٩٦

٢٧ - علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ١٤٥

وابن وصيه وهذا ديدن أولاد البغايا ومقتضى الوراثة في الشجرة الخبيثة التي يخرج ثمرها نكداً ولا انكد من ابن العاص ابن النابغة . وابن الزرقاء .

الفصل الثاني

انتقال العصمة بالوراثة

والآن وبعد كل الذي قدمناه عن الوراثة ودور الهندسة الوراثية في انتقال الصفات بكل أشكالها عن طريق الشفرة الوراثية نطرح السؤال التالي هل بالإمكان انتقال الأمر الإلهي (العصمة) وراثياً؟ أو بعبارة أخرى هل بالإمكان انتقال العصمة عبر الانتقال الإنسيابي للجينات الوراثية؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول إن الأحاديث الشريفة نصت على إن أهل البيت (عليهم السلام) هم الخمسة أصحاب الكساء الذين خصهم الله تعالى بآية التطهير التي نزلت وهي قوله تعالى { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } (٢٨).

وهؤلاء الخمسة هم : محمد (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم اجمعين .

فقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : (نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ تسليماً) وعلي ابن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وذلك في بيت أم سلمة زوج النبي ، فدعا رسول الله ﷺ تسليماً) أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم اجمعين) ثم البسهم كساءً له خبيرياً ودخل معهم فيه ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقالت أم سلمة وأنا معهم يارسول الله ؟ قال : أبشري يا أم سلمة فإنك على خير (٢٩).

وبذلك فقد ثبتت العصمة وترسخت بالأمر الإلهي تكوينياً في الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله عليهم .

وهكذا نفهم بعض الاشارات الواردة في الأدعية والزيارات مثل ما ورد في دعاء الصباح (والثابت القدم على زحاليها في الزمن الاول والناصح الحسب في ذروة الكاهل الاعبل) وما ورد في زيارة الحسين (عليه السلام) : (كنت نوراً في الاصلاب الشامخة والارحام المطهرة لم تتجسك الجاهلية بانجاسها ...) (٣٠).

الأئمة التسعة المعصومين يكتسبون العصمة بالوراثة

على الرغم من كثرة الأخبار الواردة في إن آية التطهير قد نزلت في حق الخمسة أصحاب الكساء فإنه في الوقت نفسه هنالك الكثير من الأحاديث

٢٩ - تفسير الصافي ج٤ ص١٨٧

٣٠ - مفاتيح الجنان

والروايات التي تذكر إن أهل البيت والمطهرين هم الأربعة عشر سلام الله عليهم أجمعين فكيف يستقيم الأمر في هذه الحالة ؟
 الواقع إن الخمسة أصحاب الكساء (عليهم السلام) الذين نزلت فيهم آية التطهير هم أهل البيت بمقتضى نص الآية ، وقد إنتقل الأمر وراثياً إلى الأئمة المعصومين من ذرية الحسين (عليهم السلام) فقد ورثوا التطهير من آبائهم أهل الكساء كما ورثوا أموراً أخرى وتدخل هذه المواريث ضمن القسم الثاني من أقسام الوراثة التي ذكرناها سابقاً وهي (وراثه الصفات الروحية والمعنوية) .

وقد يتعجب البعض من هذا الكلام لأول وهلة إلا إن القرآن قد نطق بهذا المعنى وبينته الأحاديث الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) وكذلك أكده العلم الحديث ، وهو لا يخص الأئمة فقط بل هو سارٍ كذلك في الأنبياء (عليهم السلام) فلو عدنا لقوله تعالى في سورة فاطر لتبين لنا إمكانية ذلك ، قال عز من قائل {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} وقوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (٣١).

ومن الروايات ما ورد عن عبد الرحمن ابن كثير قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ما عنى الله عز وجل بقوله { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } قال : نزلت في النبي (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة (عليها السلام) فلما قبض الله عز وجل نبيه كان أمير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ثم وقع تأويل هذه الآية {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} وكان

علي ابن الحسين اماماً ثم جرت في الائمة من ولده الأوصياء ، فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله عز وجل (٣٢).

وانت ترى في هذه الرواية كيف ذكر الإمام الصادق (عليه السلام) قوله تعالى {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ...} للإشارة إلى دور الوراثة في إنتقال التطهير من الخمسة أصحاب الكساء إلى باقي الأئمة ابتداءً من الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) .

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله : (لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا هم أساس الدين وعماد اليقين ، إليهم يفىء الغالي ، وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة ...) (٣٣).

فهم أولي الأمر ولهم خصائص هذا المقام وبهم أوصى الله ورسوله ، وأياهم أوث العصمة والحكمة .

وربما يقول قائل إذا كانت العصمة تنتقل بالوراثة كما تقولون فما الحاجة إلى تخصيص الخمسة أصحاب الكساء بآية التطهير ، وقد كان يكفي انهم ورثوا هذه الصفة من الأنبياء السابقين ، وللإجابة عن هذا الإشكال نقول : إن للخمسة أصحاب الكساء امتيازاً عن سائر الخلق بحيث إن العصمة التي حباهم الله بها هي أعلى مراتب العصمة التي لم يكن لنبي قبلهم شرف الإرتقاء إليها ولعل الجميع سمع حديث الكساء اليماني وإن رب العزة يقول (وعزتي وجلالي ما خلقت سماءً مبنية ولا ارضاً مدحية ولا فلکاً يجري... ألا لأجل هؤلاء الخمسة تحت الكساء) (٣٤).

٣٢ - بحار الانوار ج ٢٥ ص ٣٥٥

٣٣ - نهج البلاغة خطبة ٤

٣٤ - مفاتيح الجنان

عن سليم ابن قيس عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (أيها الناس تعلمون إن الله عز وجل أنزل في كتابه {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} فجمعني وفاطمة وابني حسنا وحسينا ثم القي علينا الكساء وقال :

اللهم هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم ويجرحني ما يجرحهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا يا رسول الله ؟ فقال : أنت على خير ، إنما نزلت فيّ وفي أخي علي وأبني وفي تسعة من ولد الحسين خاصة وليس معنا أحد غيرنا (٣٥) .

وبذلك فإن أهل البيت المشمولين بآية التطهير هم الأربعة عشر المعصومين (عليهم السلام) ، خمسة منهم أهل الكساء بحسب التنزيل، وتسعة من ولد الحسين (عليه السلام) بحسب قانون الوراثة والجينات ، ومن هذا نفهم معنى قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم تسليما) (الحسين خازن وحيي والحسن معدن علمي) فالحسين (عليه السلام) هو خازن الجينات الوراثية التي من خلالها تم التواصل لأبنائه المعصومين (عليهم السلام) من خلال العوامل الوراثية .

الفصل الثالث

إنتقال النبوة بالوراثة

بعد إن اثبتنا انتقال العصمة من خلال الوراثة ضمن قانون انتقال الكروموسومات الحاملة لجينات الرسالة الوراثية الحاوية على أدق التركيبات الصغيرة والكبيرة الداخلية والخارجية ، المادية والمعنوية من شخص لآخر حيث إن العصمة شأنها شأن المواصفات الأخرى التي يتمتع بها صاحبها مستندين ومرتكزين في ذلك البحث على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تبين إمكانية هذا الإنتقال الذي يتوافق مع ما توصل إليه علماء الوراثة في هذا الخصوص من إمكانية انتقال (الشفرة الوراثية) من شخص لآخر مهما كان الفارق الزمني في تعدد مراحل النسب أو العكس من ذلك .

وضمن نفس الإطار السالف الذكر سنقوم بإثبات إن النبوة والإمامة تنتقل عن طريق الوراثة أيضاً ووفق نفس المنهجية التي بينتها أساسيات الهندسة الوراثية التي تتكفل بنقل التفاصيل الوراثية المتناهية الدقة من شخص لآخر وفق الوضع الطبيعي الذي يعيشه الإنسان .

النبوة والإمامة والعلاقة بينهما

قد يرى البعض إن النبوة والإمامة هما مفهومين مختلفين . وهذا صحيح ابتداءً . وعليه فقد يبني البعض على إنه لا علاقة بينهما اطلاقاً ، ولهؤلاء نقول : إن هناك علاقة قوية ومترابطة بين النبوة والإمامة من جوانب عدة ، فمن حيث الغاية فكلاهما يهدفان إلى هداية الناس وإيصالهم إلى الله عز وجل .

ومن حيث طبيعة العلاقة بينهما فإن الإمامة تنتم للنبوة فالإمامة هي خلافة الله وخلافة رسوله (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) ، وإذا كانت النبوة تتمثل بنزول الوحي على حسب التنزيل فإن الإمامة هي نزول الوحي على حسب التأويل ، فيكون نزول الوحي التأويلي المتمثل ببقاء (ليلة القدر) بعد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) واستمرار نزول القرآن

فيها على إمام الزمان من كل عام ، وعدم رفعها يعني بقاء نزول الوحي الإلهي على قلب الإمام الذي يعقب رسول الله وعدم رفع القرآن .
فقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) إنه قال لأصحابه : (آمنوا بليلة القدر إنها تكون لعلي ابن أبي طالب ولولده الأحد عشر من بعدي) (٣٦).

ورود أيضاً عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام) إن أمير المؤمنين قال لابن عباس : (ليلة القدر في كل سنة وأنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة وإن لذلك الأمر ولادة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) فقال ابن عباس من هم ؟ فقال : انا وأحد عشر من صلي أئمة محدثون) (٣٧).

وهناك نقاط شبه وتلاقي كثيرة بين الأنبياء والأوصياء ، ويكون ذلك حتى في الأرواح التي يحملونها فقد جاء في كتاب الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : (سألته عن علم العالم^(٣٨) فقال لي : يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح ، روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة ، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى ثم قال يا جابر إن هذه الأرواح الأربعة يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب) (٣٩).

أي إنهم (عليهم السلام) لديهم روح القدس التي يتميزون بها عن باقي الناس الذين عندهم بقية الأرواح الأربعة فقط .

هل تجتمع النبوة والإمامة في شخص واحد

٣٦ - الكافي ج ١ ص ٥٣٣

٣٧ - الكافي ج ١ ص ٥٣٢

٣٨ - المقصود بالعالم هنا هو الإمام المعصوم

٣٩ - الكافي ج ١ ص ٢٧٢

من الممكن إن تجتمع النبوة والإمامة في شخص واحد وقد اجتمعت في شخص نبي الله إبراهيم (عليه السلام) فقد اجتمعت الجينات الوراثية الحاملة للنبوة والإمامة في شجرة النبوة المتمثلة بإبراهيم أبو الأنبياء (عليه السلام) وهذا واضح في الرواية التي نقلها زيد الشحام فقد قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : (إن الله تبارك وتعالى إتخذ إبراهيم (عليه السلام) عبداً قبل إن يتخذه نبياً ، وأن الله إتخذة نبياً قبل إن يتخذه رسولاً ، وأن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً ، وأن الله إتخذة خليلاً قبل أن يتخذه إماماً ، فلما جمع له الاشياء قال { قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } قال : فمن عظمها في عين إبراهيم (عليه السلام) قال: قَالَ { وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } قال : لا يكون السفيه إمام التقي (٤٠).

والظالمين هم من يجوز في حقهم إن يقترفوا الذنب وليس كما ذهب إليه البعض من المفسرين في كون الظالمين هم المشركين واستدلوا بقوله تعالى {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (٤١) فقد قيدت الآية الظلم بأن يكون عظيماً ليكون هو الشرك .

ثم إنه تعالى جعل في ذريته النبوة والكتاب ، قال تعالى في إبراهيم عليه السلام {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (٤٢).

أي إن المولى تبارك وتعالى قد أورث ذرية إبراهيم النبوة والكتاب .

٤٠ - تفسير البرهان

٤١ - لقمان ١٣

٤٢ - العنكبوت ٢٧

الفصل الرابع

إبراهيم أصل شجرة النبوة

لقد مثل الله سبحانه وتعالى في سورة إبراهيم انتقال النبوة والإمامة من إبراهيم إلى ذريته بالشجرة أصلها ثابت في الأرض لا يزحزحه شيء وفروعه في السماء ينزل بالأمر الإلهي متى شاء الله .
قال تعالى { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا } .

وتفيد بعض الروايات إن أصل هذه الشجرة إبراهيم الخليل (عليه السلام) كونه أول من نصبه الله إماماً فقد ورد في الرواية الشريفة عن أبي عبد الله (عليه السلام) في تفسير آية المشكاة قوله (...يوقد من شجرة مباركة) إبراهيم (عليه السلام) (٤٣). وخاتم الشجرة التي أصلها إبراهيم (عليه السلام)

٤٣ - الكافي ج ١ ص ١٩٥

الذي هو أول من جمعت له النبوة والإمامة ، وهو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) قال أمير المؤمنين (عليه السلام) يصف رسول الله : (أختره من شجرة الأنبياء ، ومشكاة الضياء ، وذؤابة العلياء ، وسرة البطحاء ، ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة) (٤٤).

وعن الصادق (عليه السلام) قال : (هذا مثل ضربه الله لأهل بيت نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) ولمن عاداهم) (٤٥).

وفي الكافي عنه (عليه السلام) : (إنه سأل عن الشجرة في هذه الآية فقال : رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) أصلها وأمير المؤمنين (عليه السلام) فرعها والأئمة ذريته أغصانها ، وعلم الأئمة ثمرتها وشيعتهم المؤمنون ورقها ، قال : والله إن المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها) (٤٦).

وفي الإكمال : (والحسن والحسين ثمرها والتسعة من ولد الحسين (عليهم السلام) أغصانها) .

وفي المعاني (وغصن الشجرة فاطمة وثمرها أولادها وورقها شيعتها) .

وزاد في الإكمال (توتى أكلها كل حين ما يخرج من علم الإمام إليكم في كل سنة من كل فج عميق) .

وأما الروايات على إن أهل البيت (عليهم السلام) هم ورثة شجرة النبوة فهي كثيرة جداً نورد بعضاً منها :

فعن علي ابن الحسين (عليه السلام) قال (ما ينقم الناس منا فنحن والله شجرة النبوة وبيت الرحمة ومعدن العلم) (٤٧).

٤٤ - نهج البلاغة خطبة ١٠٨، بحار الأنوار ج ٣ ص ٨٥

٤٥ - العياشي وعنه تفسير الصافي ج ٣ ص ٨٥

٤٦ - تفسير الصافي ج ٣ ص ٨٥

٤٧ - الكافي ج ١ ص ٢٢١

وكان علي ابن الحسين (عليه السلام) يدعوا عند كل زوال من أيام شعبان وفي ليلة النصف منه ويصلي على النبي (صلى الله عليه واله وسلم تسليمًا) بهذه الصلوات يقول (اللهم صلي على محمد وآل محمد شجرة النبوة وموضع الرسالة...) (٤٨).

وفي الروايات ما يدل على إن الائمة (عليهم السلام) هم فروع هذه الشجرة المباركة التي وصفها الباري جل وعلا في كتابه (يوقد من شجرة مباركة زيتونة) .

فمن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : (أنا فرع من فروع الزيتون وقنديل من قناديل بيت النبوة وسليل الرسالة وأديب السفارة وريبب الكرام البررة ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور وصفوة الكلمة الباقية في عقب المصطفين إلى يوم الحشر) (٤٩).

كما إن الروايات تشير إلى إن الإمامة امتداد للنبوة كما إن الفرع امتداد للأصل في الشجرة .

فمن جابر ابن عبد الله قال : بينا النبي (ﷺ) تسليمًا بعرفات وعلي (عليه السلام) تجاهه ونحن معه إذ أومأ النبي (صلى الله عليه واله وسلم تسليمًا) إلى علي (عليه السلام) فقال : ادن مني يا علي ، فدنا منه فقال : ضع خمسك يعني كفك في كفي ، فأخذ بكفه فقال : يا علي خُلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله الله الجنة (٥٠).

الشجرة التي نهى الله تعالى آدم وزوجه أن يأكلا منها

٤٨ - وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٤٩٢

٤٩ - بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢١٦

٥٠ - بحار الأنوار ج ١٥ ص ٢٠

قال تعالى {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} (٥١) وهنا يتبادر السؤال التالي :
ما هي هذه الشجرة التي نُهي آدم وحواء أن يأكلا منها ؟ ولماذا جعل الأكل من هذه الشجرة ظلماً ؟

وهنا قد ذهب المفسرون مذاهب متعددة في الشجرة التي نُهي عنها آدم فمنهم من قال إنها الشعير ومنهم من قال العنب ومنهم من قال غير ذلك ، وللاجابة على السؤال نقول :

روي عن أبي الحسن الثالث (عليه السلام) قال : (الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد ، عهد إليهما إن لا ينظر إلى من فضل الله عليه وعلى خلائقه بعين الحسد ولم يجد الله له عزماً) (٥٢).
ومن هذه الرواية يتبين لنا معنى الظلم المقصود في الآية ، فالمحسود مظلوم والحاسد ظالم .

وعن عبد السلام صالح الهروي قال : قلت للرضا (عليه السلام) : (يا ابن رسول الله أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت ؟ وقد اختلف الناس فيها ، فمنهم من يروي إنها الحنطة ومنهم من يروي إنها العنب ، ومنهم من يروي إنها شجرة الحسد ، فقال (عليه السلام) كل ذلك حق ، قلت : فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ؟ فقال : يا أبا الصلت ... إلى إن قال :

فقال آدم (عليه السلام) : يارب من هؤلاء ؟ فقال عز وجل هؤلاء من ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقي ، ولولا هم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ، ولا السماء ولا أرض ، فأياك أن تنظر اليهم بعين الحسد وتمنى منزلتهم ، فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نُهي عنها وتسلط على حواء

٥١ - البقرة ٣٥

٥٢ - بحار الأنوار ج ١١ ص ١٨٧

لنظرها إلى فاطمة (عليها السلام) بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم (عليه السلام) فأخرجهما الله عز وجل عن جنته فأهبطهما عن جواره إلى الأرض^(٥٣).

وعلى ذلك تكون الشجرة التي أكل منه آدم وحواء هي شجرة الحسد وهي بالتأكيد ليست شجرة مادية كما هو معهود ولكن هي أمر نفسي صادر من نوازع الإنسان ، كما إن ذلك لا ينفي وجود شجرة مادية قد أكل منها آدم وحواء قد تكون شعيراً وقد تكون عنباً انطلاقاً من وجود بعد ملكوتي لكل شيء {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

أصحاب الكساء ووراثة الأنبياء

لقد بين القرآن الكريم مقام أصحاب الكساء بأن سماهم بأهل البيت ، وجعلهم أهل آية المباهلة ، وما ذلك إلا لما لهم من مقامات شريفة عالية عند الله تعالى في كل الأزمان والعوالم فهم قد خلقوا قبل خلق آدم والمخلوقات فعن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) قال: (...لما أراد الله إن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين فكنا نسبجه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس)^(٥٤).

وبهم تاب الله على آدم كما في الرايات الكثيرة ، وبهم جرت سفينة نوح وسلمت من الغرق ، وبهم ابتلى إبراهيم ربه وغير ذلك من المقامات الإلهية. روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) إنه قال: (إن الإمامة خص الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة ، مرتبة ثالثة منفصلة شرفه بها

^{٥٣} - عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٧٤

^{٥٤} - بحار الأنوار ج ١ ص ١٠

وأشاد بها ذكره... إلى أن قال ، فلم يزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرن حتى ورثها النبي (صلى الله عليه واله وسلم تسليما) فقال الله عز وجل : { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } فكانت له خاصة فقلدها (ﷺ تسليما) عليا بأمر الله عز وجل على رسم ما فرضها الله عز وجل ، فصارت في ذريته الأصفياء الذين أتاهم الله إلى يوم البعث فهي في ولد علي (عليه السلام) خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد (ﷺ تسليما) فمن أين يختار هؤلاء الجهال ؟ إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وارث الأوصياء ، إن الإمامة خلافة الله عز وجل وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين (عليهما السلام) (٥٥).

من ذلك يتبين لنا إن اصحاب الكساء هم ورثة مقام الإمامة الذي هو منزلة الأنبياء وارث الأوصياء أي إن أصحاب الكساء (عليهم السلام) هم ورثة الأنبياء ، إليهم تنتقل مواريث الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) .

إن هذا المقام مقام أهل البيت استحققه أصحاب الكساء وورثوه بالتنزيل ، حيث خاطبهم تعالى { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } كما خاطب آل إبراهيم بقوله تعالى : { رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } .

وقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } ذرية بعضها من بعض .

وروي العياشي عن الباقر (عليه السلام) إنه تلا هذه الآية فقال : (نحن منهم ونحن بقية تلك العترة) .

وفي المجالس عن الصادق (عليه السلام) قال : قال محمد بن الاشعث ابن قيس الكندي (لعنة الله عليه) للحسين (عليه السلام) : يا حسين ابن فاطمة ،

أي حرمة لك من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم تسليما) ليست لغيرك فتلا الحسين هذه الآية ثم قال : والله إن محمدا (ﷺ) تسليما) لَمَن آل إبراهيم وإن العترة الهادية لَمَن آل محمد صلوات الله عليهم)^(٥٦).

والمذكورين في الآية ذرية بعضها من بعض ويرث بعضهم بعضا . اذن فآل محمد الذين هم علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين هم فرع شجرة الأنبياء وهم ورثة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

الفصل الخامس

دور فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) في الوراثة الإلهية

فاطمة بنت محمد الصديقة الطاهرة الحوراء الإنسية هي سر من إسرار الله الذي لا يدرك كنهه إلا خالقه ولما كانت الحجة هي الدليل إلى الله تعالى يحذر به عباده وينذرهم ويهديهم فإن مقام الحجية إلهي تصل بواسطته العلوم الإلهية اللدنية إلى عباده .

وإذا كان أهل البيت (عليهم السلام) هم حجج الله على خلقه فإن أمهم فاطمة حجة الله عليهم وهذا ما صرحت به رواية العسكري (عليه السلام) : (نحن حجة الله على الخلق وفاطمة (عليها السلام) حجة علينا)^(٥٧) .

بل يتعدى الأمر إلى إن فاطمة (صلوات الله عليها) هي الليلة التي يتنزل فيها الأمر الإلهي من عند العلي الأعلى .

^{٥٦} - تفسير الصافي ج١ ص٣٢٨

^{٥٧} - الانتصار للحر العاملي ج٧ ص١٩٢

فقد روى فرات الكوفي في تفسيره قال : حدثنا محمد بن القاسم بن عبيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) في معنى قوله تعالى : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} {الليلة فاطمة والقدر الله ، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر ، وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا على معرفتها .

وقوله {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ} يعني خير من الف مؤمن ، وهي أم المؤمنين {تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا} والملائكة المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد (ﷺ تسليماً) والروح القدس هي فاطمة الزهراء (عليها السلام) {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ} يعني حتى يخرج القائم عليه السلام (٥٨).

إذن فهناك علاقة بين فاطمة الزهراء والإمام الحجة القائم (عليه السلام) كونه هو السر المستودع فيها وهو الغاية التي تنتهي إليها هذه العلوم .

إذن فإن فاطمة هي مصدر فيض للأئمة جميعاً وفي كل زمان ومكان ، بل إن لها دوراً بارزاً بالعهد بإمامة الأئمة (عليهم السلام) من ذريتها ، فهو من شؤونها كما يفهم من بعض النصوص ، وبالتالي يصح أن يكون الأئمة من ذريتها هم أوصياء لها .

وكما ورد في بعض الزيارات (السلام عليك يا وارث فاطمة الزهراء سيده نساء العالمين ...) .

وعلى الإجمال فإن مقام الوصاية بالإمامة مقام إلهي خطير نظير ما كان لمريم بنت عمران من مقام حيث ألقى إليها كلمة الله عيسى ، وهذا يقودنا . في مقام نزول القرآن لكل الأزمان . إلى القول بأن كل لفظ مريم في القرآن يصح إن يراد منه فاطمة (عليها السلام) .

ولما كانت سلام الله عليها مطهرة بنص القرآن في آية التطهير التي نزلت على الخمسة أصحاب الكساء وهم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها .

٥٨ - تفسير فرات الكوفي ص ٥٨١ ، مقامات فاطمة الزهراء ص ٢١

والمظهر . كما في سورة الواقعة . يمس حقيقة القرآن العلوية المكنونة في الكتاب واللوح المحفوظ ، فهي إذن ممن قد ورث هذه الحقائق والعلوم وأبنائها قد ورثوا هذه الحقائق منها .

فمصحف فاطمة هو أحد دلائل إمامة الإمام عند حيازته له ، روي عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : (ما مات أبو جعفر (عليه السلام) حتى قبض مصحف فاطمة (عليها السلام))^(٥٩).

ولا ينبغي إن يستغرب أحد مما حبا الله فاطمة من منزلة ، فهي من الأنوار التي اشتقت من المصادر الأول (ﷺ تسليمًا).

، وقد روي عن قوله : (يا سلمان خلقتني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته ، وخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه ، وخلق من نوري ونور علي فاطمة فدعاها فأطاعته ، وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه فسمانا الله عز وجل بخمسة أسماء من أسمائه ، فالله المحمود وأنا محمد ، والله العلي وهذا علي ، والله فاطر وهذه فاطمة ، والله ذو الإحسان وهذا الحسن ، والله المحسن وهذا الحسين ، ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماءً مبنية أو ارضاً مدحية أو هواء أو ماء أو ملكاً أو بشراً وكنا بعلمه أنواراً نسبحه ونسمع له ونطيع)^(٦٠).

فالخلة والاصطفاء كما جرى على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم تسليمًا) وعلي (عليه السلام) جرى مثله على فاطمة (عليها السلام) بل هي خلقت من نوريهما ، وهذا مقام خطير وشأنه رفيع .

كما إن الرواية توضح وجود ترتيب في النورانية وكون المتقدم واسطة فيض للمتأخر، لذا فإن فاطمة (عليها السلام) تعد واسطة فيض نورانية للأئمة لتقدمها عليهم بالنورانية ، وهم من نور واحد .

^{٥٩} - بصائر الدرجات ص ١٥٨ ، مقامات فاطمة الزهراء ص ٣٠

^{٦٠} - بحار الأنوار ج ٢ ص ٦ ، مقامات فاطمة الزهراء ص ٣٢

كما روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) : (إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى عمران : إني واهب لك ذكراً فوهب له مريم ، ووهب لمريم عيسى ، فعيسى من مريم ، ومريم من عيسى شيء واحد وأنا من أبي وأبي مني وأنا وأبي شيء واحد) (٦١).

وإذا كان عيسى من مريم ، ومريم من عيسى شيء واحد ، فكيف بمن كانوا أنواراً يسبحون قبل الخلق بألفي عام ؟
فقد ورد عنهم (عليهم السلام) : (إن الله خلقنا قبل الخلق بألفي عام فسبحنا فسبحت الملائكة كتسبيحنا) (٦٢).

السر المستودع فيها

من كل ما تقدم وكون فاطمة واسطة الفيض إلى باقي الأئمة (عليهم السلام) من جهة وانطلاقاً من تأسيسنا القاضي بفعالية الدور المهم للوراثة والجينات الوراثية من جهة ثانية ، وكون الأئمة هم حجج الله على خلقه وهم أبواب الله التي يؤتى منها ، وهم خلفاء الله في أرضه من جهة ثالثة نفهم العناية الإلهية الامتناهية في خلق فاطمة .

فعن رسول الله (ﷺ) تسليماً قال : (...فأدناني جبرائيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فأكلته فحول الله ذلك ماءً في ظهري فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، فما قبلتها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبى فيها) (٦٣).

٦١ - الكافي ج ٦ ص ١٩٥

٦٢ - بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١

٦٣ - البحار ج ٨ ص ٣٦٤

وأخرج الكافي عن أبا الحسن (عليه السلام) قال : (بينا رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجها فقال له رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) حبيبي جبرائيل لم أرك في مثل هذه الصورة ، قال الملك لست بجبرائيل يا محمد بعثني الله لأزوج النور من النور قال (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) : مَنْ مَن قال فاطمة من علي .

قال فلما ولى الملك فإذا بين كتفيه محمد رسول الله علي وصيه ، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) منذ كم كتب هذا بين كتفيك ، فقال من قبل إن يخلق آدم باثنين وعشرين ألف عام^(٦٤).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظم الدور الذي أنيط بفاطمة (سلام الله عليها) في حمل السر الإلهي المتمثل بالحسن والحسين (عليهما السلام) الذين قال فيهما رسول الله (ﷺ) تسليماً) : (الحسن معدن علمي والحسين خازن وحيي).

وما يتبع ذلك من مجيء رجل من ولد الحسن (عليه السلام) في آخر الزمان يقوم بنشر علوم آل محمد ومجيء رجل من ولد الحسين (عليه السلام) يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً يكون امتداد للنبوّة ووارث للوحي فهذا هو السر المستودع فيها الذي تتطلع الخليقة إلى رؤية طلعه الرشيدة لتعيش في ظل دولته دولة العدل الإلهي .

وراثة العلوم الإلهية

إن وراثة العلوم الإلهية هي من السنن التي سار عليها رسل الله تعالى وأنبياءه (صلوات الله عليهم) قال تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فالكتاب الذي هو مجموع هذه العلوم يرثه من اصطفاه الله من عباده .

وفي خبر جاء بريهة جاثليق النصارى فقال لأبي الحسن (عليه السلام): (جعلت فداك أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء ، قال هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤوها إن الله لا يجعل حجة في أرضه يُسأل عن شيء فيقول لا ادري) (٦٥).

ولما كانت كل العلوم التي ألقاها الله إلى عباده محتواة في الكتاب كما وصفه الباري بأنه {تبيان لكل شيء}

وإنه ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦٦).

وإنه {هدى ورحمة} وإنه {عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين} .

كل هذه الأوصاف الجامعة الغيبية العلوية لحقائق الآيات في الكتاب قد أورثها الله للأنبياء الذين اصطفاهم الله من خلقه اللاحق منهم عن السابق

٦٥ - بحار الأنوار ج ٢٦ ص ١٨١

٦٦ - الأنعام ٥٩

فقد قال تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ}.

فعن باقر العلم (عليه السلام) (هي في ولد علي وفاطمة (عليهما السلام))^(٦٧).

وفي الكافي عنه (عليه السلام) قال : (السابق بالخيرات الإمام والمقتصد العارف للإمام والظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام).

وعن الصادق (عليه السلام) قال : (إنه قيل له إنها في الفاطميين ، فقال ليس حيث تذهب ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه ودعا الناس إلى ضلال ، فقيل أي شيء الظالم لنفسه قال :الجالس في بيته لا يعرف حق الإمام والمقتصد العارف بحق الإمام والسابق بالخيرات الإمام)^(٦٨).

وعنه (عليه السلام) قال: (أراد الله بذلك العترة الطاهرة ولو أراد الأمة لكانت باجمعا في الجنة لقول الله فمنهم لظالم لنفسه الآية ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال : جنات عدن يدخلونها الآية فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم)^(٦٩).

وهنا قد ترد شبهات حول هذا الموضوع سنحاول ايرادها ومحاولة اعطاء القول المناسب لها معتمدين في ذلك كتاب الله وسنة الائمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

الشبهة الأولى : قد يقول قائل : ما هي الفائدة من وراثة الكتاب ؟ وها هو الكتاب متداول بين المسلمين يتناولونه بالتلاوة والتفسير وغير ذلك من العلوم المختصة بالقرآن فهو متاح لكل أحد وقد أمر الله تعالى بتدبر القرآن

^{٦٧} - تفسير الصافي ج ٤ ص ٢٤

^{٦٨} - الكافي ج ١ ص ٢١٥

^{٦٩} - آمالي الشيخ الصدوق ص ٦١٥

لعامة الناس ولم يقتصر الأمر على عصابة بعينها تكون هي المعنية بتدبره ومباشرته .

الجواب : إن الوراثة التي نعنيها ليست انتقال الكتاب المدون ما بين الدفتين المتداول بين المسلمين يتناقلونه كابراً عن كابر جيلاً بعد جيل ، بل نعني به العلوم الإلهية الحقائق الغيبية الموجودة بين السماء والأرض التي مثل لها الحديث النبوي الشريف بأنها (حبل ممدود بين السماء والأرض طرف بيد الله وطرف بأيديكم) وهو المشار إليه في الآية الشريفة { فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } وإلا فكل أحد يمس الكتاب ألتدويني ولكن لا احد يمس الحقائق الملكوتية للقرآن إلا قلب المعصوم الذي أشبه ما يكون بوعاء يتنزل إليه تأويلات القرآن في ليلة القدر وقد فصلنا الكلام في هذا الموضوع في الجزء الأول (نظرية تجزئة القرآن) فليراجع.

وأما مسألة تلاوة القرآن والتبرك به والتدبر في آياته وسوره فهو أمر آخر لا يتعارض مع الرجوع إلى عدل القرآن وحملته ومن أمر الله بالتمسك به مع القرآن للأمن من الضلال وهو (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) .

الشبهة الثانية : لقائل أن يقول إذا كانت علوم الكتاب تنتقل وراثة وقد ورد في الحديث (العلماء ورثة الانبياء) فإن الرجوع إلى تفاسير العلماء ومؤلفاتهم في علوم القرآن والحقائق الإلهية كفيل للوصول بالمؤمن إلى ما يريده الله من فهم القرآن وحقائقه وهذا أمر درج عليه المسلمون على اختلاف مذاهبهم الكلامية والفلسفية والفقهية وعليه فكلامكم من باب توضيح الواضحات وكما يعبرون (توضيح الواضحات من اشكل المشكلات) .

الجواب : إن مضمون هذا الاشكال هو ما نريد إن نثبته في بحثنا هذا وهو ما يلخصه مفهوم الحديث المشهور (العلماء ورثة الانبياء) ولكن نقطة

الخلاف بيننا وبين المستشكل هو إنه يفهم من لفظ العلماء كل من تكلم بقضايا الدين والعقيدة وما إلى ذلك من أمور ونحن نفهم من لفظ العلماء ما حدده لنا الأئمة (عليهم السلام) فإن من ورث العلم من الأنبياء هم الأئمة وهذا لا خلاف فيه وهو ما أثبتناه في هذا البحث ومما لا يمكن صرفه إلى أحد من الناس الخارجين عن إطار العصمة والأختيار الإلهي .

فكيف يمكن أن نفهم الحديث الوارد عنهم (عليهم السلام) : (علماء امتي كأنبيا بني اسرائيل) (٧٠) .

وفي رواية أخرى (علماء امتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل) (٧١) .
فلا مندوحة ولا خيار إلا بالقول إن العلماء حقاً هم أئمة أهل البيت لأن من حصل العلوم الكسبية التي يصل من خلال دراستها الرجال إلى حال يسمون علماء لا يمكن أن تنطبق عليهم هذه الرواية لأن العلم الكسبي يستطيع أي إنسان أن يحصل عليه ، فيكف يكون لمثل هؤلاء أن يكونوا أفضل من موسى وعيسى (عليهما السلام) الذين هم من أنبياء بني إسرائيل .

وقد ورد عن سيف بن عميرة قال حدثني أبو سلمة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (يغدوا الناس على ثلاثة عالم ومتعلم وغثاء فسلوه عن ذلك فقال نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء) (٧٢) .

الشبهة الثالثة: ومضمون هذه الشبهة يتلخص بالقول بأن نظرية الوراثة تلغي مبررات ودوافع السعي نحو مراقي الكمال كون هذه المقامات محجوزة لأشخاص محددين لا يمكن استبدالهم ، وكأن القضية محسومة سلفاً .

٧٠

٧١ - بحار الانوار ج ٣٥ ص ٣٠٤

٧٢ - بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٢٩

الجواب : في مقام الرد على هذه الشبهة نقول : إن الاختيار الحقيقي وأنطلاق السير نحو الكمالات العليا تبدأ بهذا الإمتحان الصعب الذي يصطدم غالبا بعقبة الأنا .

فلما كانت العلوم الإلهية حقائق غيبية لا تتأتى لكل أحد وهي من (الصعب المستصعب) ولما كان اختيار من يكون مؤهلاً لمقام حمل العلوم الإلهية يتم ضمن قانون الإصطفاء الإلهي ، فإن المصداق الأول لهذا الأمر هو قضية آدم (عليه السلام) ، وأمر الله للملائكة بالسجود له وعصيان إبليس لأمر الله تعالى انطلاقاً من شعاره المشؤوم (أنا خير منه) وطرده من حضرة الرضا والرحمة الالهية .

وهذه السنة الإلهية جارية عبر الزمان، وكما قال تعالى {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} (٧٣).

ففي كل زمان هناك آدم قد نصبه الله خليفة وفي كل زمان هناك أمر بالسجود لآدم الزمان وفي كل زمان هناك من يسجد له طاعة للأمر الإلهي ، وفي كل زمان هناك من يقول (أنا خير منه) .

والا فبماذا نفسر قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) في حق علي (عليه السلام) (أنا مدينة العلم وعلي بابها) ؟

أنا لا أفهم من هذا الحديث إلا ما أفهم من قوله تعالى (أسجدوا لآدم) .
ولاحظ معي كيف إن من أطاعوا هذا الأمر واعترفوا بهذا المقام رفعهم الله فوق كل مقام فهذا سلمان المحمدي قد استحق قول رسول الله (سلمان منا أهل البيت) .

وهذا عمار والمقداد وأبو ذر استحقوا قوله (ﷺ تسليماً) : (إن الجنة لتشتاق إلى ثلاث) .

فاعتبروا يا أولي الألباب ولا تطمعوا إن تكونوا من العالين ولا تستكبروا على أولياء الله فتكونوا من الأخسرين .
وهنا ينبغي الالتفات إلى إن خليفة الله هو من اصطفاه الله ونصبه ، ولا يمكن إن يحل محله أحد مهما كان فخير الله واحد وحكمه واحد ولا يصح الركون إلى خيارات الناس وأحكامهم فهي عادة متقلبة ومتغيرة لا تثبت على حال .

اختصاص الحسين لوراثة الأنبياء

عرفنا في ما مضى كيف إن الخمسة أصحاب الكساء (صلوات الله عليهم) قد ورثوا علوم الأنبياء ومواريتهم وبطبيعة الحال فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) في حياته كان وارثاً لهذه العلوم ثم أورثها إلى وصيه ووزيره وخليفته من بعده أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ثم صارت الوراثة مختصة بالحسين دون الحسن . رغم إن الحسن والحسين إمامان . ولكن في مقام الاختصاص ، فقد خص الحسين (عليه السلام) بوراثة الأنبياء صلوات الله عليهم .

إذ من الجدير بالذكر إن الإمام الحسين (عليه السلام) والد الأئمة التسعة المعصومين (عليهم السلام) هو الوحيد الذي اختصه الله بزيارة وارث ، هذه الزيارة التي يبين الإمام الصادق (عليه السلام) وراثة جده الحسين (عليه السلام) (لأنبياء من آدم (عليه السلام) إلى محمد ﷺ تسليماً) ولم يختص الإمام الحسن (عليه السلام) بهذه الزيارة كون الحسين (عليه السلام) هو الحامل للجينات الوراثية للأنبياء وخصوصاً أولوا العزم منهم حتى تكون الإمامة امتداداً للنبوة .

وبه اكتملت الخريطة الجينية للشفرة الوراثية الحاوية لأصل النور وفرعه المتمثل بالنبوة والإمامة ، فكان الإمام الحسين (عليه السلام) أصلاً لهذه الجينات وناقلاً لها لأبنائه المعصومين (عليهم السلام) عن طريق قانون الوراثة وفي هذا المقام نذكر قوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه) .
 ففي أكمال الدين عن علي ابن الحسين (عليه السلام) قال (فينا نزلت هذه الآية وجعلها كلمة باقية في عقبه والإمامة في عقب الحسين (عليه السلام) إلى يوم القيامة)^(٧٤).

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على إن الإمامة قد جعلها الله تعالى في الحسين ومن بعده تسعة من ذريته هم بقية الأئمة الإثنا عشر .
 وفي المناقب إن النبي (ﷺ) تسليماً) سئل عن هذه الآية فقال :الإمامة في عقب الحسين (عليه السلام) يخرج من صلبه تسعة من الأئمة منه مهدي هذه الأئمة)^(٧٥).

وقول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم تسليماً) : (حسين مني وأنا من حسين) وهذا الحديث يحمل دلالة جلية في إن الحسين هو امتداد النبوة التي ختمت برسول الله (ﷺ) تسليماً) ومنه سيكون فرع النبوة المتمثل بالمهدي المنتظر الذي سيأتي بالدين غضاً طرياً كما كان على عهد جده رسول الله (ﷺ) تسليماً) .

٧٤ - تفسير الصافي ج٤ ص٣٨٧ ، وفي علل الشرائع عن الباقر (عليه السلام) وفي

معاني الأخبار والمناقب ومجمع البيان عن الصادق (عليه السلام) مثله .

٧٥ - تفسير الصافي ج٤ ص٣٨٧

الفصل السادس

المهدي تجتمع فيه جميع صفات الأنبياء والأئمة

إن الإمام المهدي (عليه السلام) هو خاتم الأوصياء وخليفه الله وبقيته في أرضه والمكون لدولة العدل الإلهي وتم نور الله ومظهر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فإنه لا بد أن يكون حاملاً لجميع الجينات الوراثية للأنبياء والمرسلين وأوصياء الانبياء وأمير المؤمنين وأبنائه المعصومين (صلوات الله عليهم اجمعين) ، وهذا ما سوف يؤكداه القائم المهدي (عليه السلام) عند قيامه المقدس .

فقد ذكر المفضل ابن عمر إن الامام الصادق (عليه السلام) قال في كلام طويل عن القائم (عليه السلام) وسيدنا القائم يسند ظهره إلى الكعبة ويقول : يا معشر الخلائق ألا من اراد ان ينظر إلى آدم وشيث فما أنا ذا آدم وشيث ، إلا ومن أراد أن ينظر إلى نوح وولده سام فما أنا ذا نوح وسام ، ألا ومن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل فما أنا ذا إبراهيم وإسماعيل ، ألا ومن أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع فما أنا ذا موسى ويوشع ، إلا ومن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فما أنا ذا عيسى وشمعون ، ألا ومن أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فما أنا ذا محمد (ﷺ) تسليماً) وأمير المؤمنين (عليه السلام) ، ألا ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين (عليهما السلام) فما أنا ذا الحسن والحسين ، ألا ومن أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين (عليهم السلام) فما أنا ذا الأئمة من ولد الحسين (عليهم السلام) (٧٦).

وهذا الكلام الذي يطلقه القائم المهدي (عليه السلام) عند قيامه الشريف يوضح بشكل لا لبس فيه إنه يحمل عموم الجينات الوراثية لانبيااء الله ورسله وأوصيائه وخلفائه (صلوات الله وسلامه عليهم) .
كما إنه (عليه السلام) هو وارث علوم النبيين ووارث كتبهم وهو بقية الله من النبيين والأوصياء .

فقد روي عن أبي جعفر (عليه السلام) قوله (والقائم يومئذ بمكة عند الكعبة مستجيراً بها يقول : انا ولي الله انا أولى بالله وبمحمد ﷺ) فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم ومن حاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح ومن حاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم ومن حاجني في محمد فأنا أولى الناس بمحمد ، ومن حاجني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين : إن الله تعالى يقول : إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، فانا بقية آدم وخيرة نوح ومصطفى إبراهيم وصفوة محمد ألا ومن حاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله) (٧٧).

وهذا الحديث واضح في إن القائم (عليه السلام) هو من ذرية النبيين ووارثهم تجتمع فيه كل صفاتهم ، ويورثه الله كل صفاتهم وعلومهم ، بل انه تجري عليه سننهم جميعاً .

فقد روي في الكثير من الأحاديث بصيغ متقاربة عنهم (عليهم السلام) :
(في القائم منا سنة من الأنبياء) (٧٨).

وعن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله يقول (عليه السلام) : (إن سنن الأنبياء (عليهم السلام) بما وقع بهم من الغيبات حادثة في القائم منا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة) (٧٩).

٧٧ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٠٥

٧٨ - كمال الدين ج ١ ص ٣٢١

٧٩ - كمال الدين ج ٢ ص ٣٤٥

وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : (إن للقائم منا غيبة يطول
امدها فقلت له : يا ابن رسول الله ولم ذلك ؟ قال : لأن الله عز وجل أبقى إلا
أن تجري فيه سنن الأنبياء (عليهم السلام) في غيبتهم)^(٨٠).

إذن فالإمام المهدي سيكون حاملاً لكافة الجينات الجسمانية والروحية
والمعنوية فهو وارث الانبياء والمرسلين وهو الذي يصفه رسول الله (صلى
الله عليه وآله وسلم تسليماً) بأنه أشبه الناس به خلقاً وخلقاً .

فقد روي عن جابر الأنصاري قال : قال رسول الله (ﷺ تسليماً) : (المهدي
من ولد علي اسمه اسمي وكنيته كنيتي اشبه الناس بي خلقاً وخلقاً تكون له
غيبة وحيرة تضل فيها الأمم ثم يقبل كالشهاب الثاقب ويملاها عدلاً كما ملئت
ظلماً وجوراً)^(٨١).

وينطبق هذا الأمر من وراثة الجينات الجسمانية والروحية والمعنوية على
اليمني الموعود أيضاً فهو أشبه خلقاً وخلقاً بعيسى ابن مريم (عليه السلام)
، فقد ورد في غيبة النعماني عن عبد الرحمن ابن حمزة عن كعب الأحبار
إنه قال: (... إن القائم المهدي من نسل علي أشبه الناس بعيسى ابن مريم
خلقاً وخلقاً وسيماء وهيئة يعطيه الله عز وجل ما أعطى الأنبياء ويزيده
ويفضله...)^(٨٢).

وبذلك تنطبق الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ
إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٨٣) فمن آل عمران عيسى ابن مريم ومن
آل إبراهيم الإمام المهدي (عليه السلام) .

٨٠ - علل الشرائع ٢٤٥

٨١ - بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٢٣١

٨٢ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٢٥

٨٣ - آل عمران ٣٣

البعثة النيابية

دلت الروايات المتكاثرة عن الرسول الأكرم وأهل بيته المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) ، إن الله تبارك تعالى خلق محمد (ﷺ) تسليماً قبل أن يخلق الدنيا وخلق علي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن المجتبي والحسين الشهيد (عليهم السلام) بعد خلق رسول الله (ﷺ) تسليماً ، ومن نورهم خلق العرش واللوح والشمس والنور والضياء والعقل والمعرفة ، وهؤلاء الخمسة أصحاب الكساء الذين يتقدمهم سيدهم وسيد الخلائق أجمعين الرسول الأعظم محمد (ﷺ) تسليماً .

قد خلقهم المولى عز وجل قبل خلق الخلائق أجمعين ، الذين بضمنهم الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم أجمعين) .

ومن هذه الروايات ما ورد عن معاذ بن جبل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) انه قال : (إن الله عز وجل خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام .

قلت : فأين كنتم يا رسول الله ؟ قال : قدام العرش نسبح الله عز وجل ونحمده ونقدسُه ونمجده قلت : على أي مثال . قال : أشباح نور حتى إذا أراد الله عز وجل أن يخلق صورتنا صيرنا عمود نور ثم قذفنا في صلب ادم ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ولا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر يسعد بنا قوم ويشقى بنا اخرون^(٨٤).

وقد ورد في الحديث عن رسول الله (ﷺ) تسليماً قوله : (خلق الله آدم على صورته)^(٨٥) وذلك على معنى ناقية الله وبيت الله وليس المعنى المادي فالمولى عز وجل ليس كمثل شيء ، ومعنى صورته هو على صورة محمد

^{٨٤} - بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٤

^{٨٥} - إرشاد السائل ص ١٩٨

(ﷺ تسليما) لكونه هو الحقيقة الكاملة وأفضل الأنبياء والذي خاطبه المولى تبارك وتعالى بقوله { وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }^(٨٦).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله (ﷺ تسليما): (أول ما خلق الله نوري ففتق منه نور علي ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة)^(٨٧).

وغير ذلك من الروايات العديدة ، ورسول الله (ﷺ تسليما) هو الحقيقة الكاملة التي تمثل المولى جل وعلا في خلقه ودينه ، ودين الله الكامل الشامل هو الإسلام بل هو أصل الأديان وأول الأديان وآخرها ، ورسول الله (ﷺ تسليما) هو أول المسلمين ، وقد أكد الله عز وجل ذلك في القرآن في ثلاث مواضع قال تعالى : { قُلْ إِيَّايُ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }^(٨٨).

وقوله: { لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }^(٨٩).

وقوله : { وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ }^(٩٠) .

فان إسلامه (ﷺ تسليما) متقدم على إسلام الخلائق كلهم فهو أول من أجاب في عالم الذر ولم ينعت بأول المسلمين أحد في القرآن إلا هو (صلى الله عليه وآله وسلم تسليما) وقد أمره الله تعالى فيها أن يخبر قومه بسبقه للإسلام قبل الخلق أجمعين ورسول الله (ﷺ تسليما) هو خاتم النبيين ودين الإسلام هو خاتم الأديان ومتممها وهو الدين المصطفى للأنبياء والمرسلين الذين يتواصلون به نبي بعد آخر .

^{٨٦} - القلم ٤

^{٨٧} - البحار ج ٥ ص ١٧٠

^{٨٨} - الأنعام ١٤

^{٨٩} - الأنعام ١٦٣

^{٩٠} - الزمر ١٢

وهذا واضح في قوله تعالى: { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَانِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }^(٩١).

وان الأنبياء مأمورين بالإسلام أيضاً بعد رسول الله (ﷺ) (تسليماً) ، فقد قال تعالى حكاية عن نوح : { فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }^(٩٢).

وعن إبراهيم قوله { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }^(٩٣). وكذلك الأمر مع الأوصياء فقال تعالى : { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }^(٩٤).

وقد سئل الأنبياء الإسلام والثبات عليه قال تعالى حكاية عن إبراهيم وإسماعيل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }^(٩٥).

وعن يوسف قوله : { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ }^(٩٦). والإسلام هو مجمل الأديان وجوهر الأديان ، فإن الله تبارك وتعالى أنزل الأديان السماوية متدرجة بعضها يكمل بعضاً وهي كلها من الإسلام وباديتها الإسلام وختمها بالإسلام ، فإن نبي الله عيسى (عليه السلام) يقول : { جئت لاتمم شريعة موسى) .

٩١ - البقرة ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ .

٩٢ - يونس ٧٢

٩٣ - البقرة ١٣٠

٩٤ - المائدة ١١١

٩٥ - البقرة ١٢٨

٩٦ - يوسف ١٠١

وهكذا فالشرائع السماوية المنزلة على الأنبياء أصلها واحد ولا فرق بين حاملها فكلهم آتاهم الله من نفس المصدر (الإسلام) فقد قال تعالى : ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٩٧).

في هاتين الآيتين دلالة واضحة على إن الدين الإسلامي هو دين الله وهو الدين الشامل والجامع لرسالات الأنبياء ومن يتخذ غير الإسلام ديناً فلا يتقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .

وقد قال تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٩٨).

إن الإسلام من التسليم والتسليم هو الانقياد إلى طاعة الله ومرضاته ، وتمكن هذه الطاعة في إتباع الأنبياء والائتمار بأمرهم والانتهاة بنهيهم قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٩٩).

لقد قال العلماء والمفسرين عن هذه الآية معناها هو الدين الإسلامي الآن الذي نتسمى به نحن معشر المسلمين وقولهم هذا ناقص وغير صحيح ، بل هو تكويناً واصلاً (إن الدين عند الله الإسلام) .

ودرجة التسليم والانقياد لله تعالى هي أعلى من درجة الإيمان فرب مؤمن بالله لكنه غير متبع وغير منقاد لأمره جل وعلا ، أما المسلم فهو المطيع المنقاد الذي يوكل جميع أموره لربه ، لذلك فقد قدم الله تعالى المسلمين

^{٩٧} - آل عمران ٨٤-٨٥

^{٩٨} - البقرة ١١١-١١٢

^{٩٩} - آل عمران ١٩

والمسلمات على المؤمنين والمؤمنات في قوله : **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ** {١٠٠} .

إن أصل الإسلام هو الميثاق والسلام والتسليم ، والميثاق هو العهد الذي أخذه الله تعالى على الخلائق في عالم النذر والسلام هو صفة الإسلام ، وقانون الإسلام مبني على السلام ، فقد ورد عن رسول الله (ص) قوله : (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه) .

والتسليم كما ذكرنا هو التسليم والانقياد لطاعة الله عز وجل ، فقوله تعالى **حَايَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ مَخَاطَباً قَوْمَ بَلْقَيْسٍ : {أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ}** {١٠١} ، وقوله : **{قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}** {١٠٢} ، فمسلمين يعني طائعين ، وقوله تعالى : **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}** {١٠٣} ، أي أتينا مسلمين ، فجوهر السماء والأرض هو الإسلام ، وقد نزلت الكتب السماوية بأجمعها وهي منظوية تحت القرآن .

بعد أن أوضحنا بأن النبي الأكرم (ﷺ) تسليماً هو أول من خلق الله وأول من اسلم قبل المخلوقات وهو الخاتم ونهاية الأديان وتمامها في دينه (الإسلام) ذلك الدين الشامل الكامل ، الذي هو دين الله وإن جميع أنبياء الله هم مسلمون به ، وقد ورد في الحديث عن رسول الله (ﷺ) تسليماً انه قال : (بنا فتح الله وبنا يختم) .

إذن فالذين يأتون من الأنبياء قبل انبثاق دعوة النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) هم مبعوثون نيابة عنه وممهدون له في ذات الوقت ، أي بمعنى آخر إن جميع الأنبياء الذين بعثهم المولى تعالى هم

١٠٠ - الأحزاب ٣٥

١٠١ - النمل ٣١

١٠٢ - النمل ٣٨

١٠٣ - فصلت ١١

سفراء عن رسول الله وخير خلقه (ﷺ تسليماً). قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ
لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي
سَاجِدِينَ﴾ (١٠٤) .

إذا قال قائل إن هذه الآية تنطبق على بني إسرائيل فقط ولا تنطبق على
المسلمين فهذا الكلام يتعارض مع شمولية القران ورسالة الرسول الأعظم
(ﷺ تسليماً) الذي خاطبه المولى عز وجل بقوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً
لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٥).

فهناك ترابط مهم بين هذه الآية والأئمة المعصومين (عليهم السلام) فكل
كوكب من هذه الكواكب التي رآها نبي الله يوسف هي تمثل أحد المعصومين
، فالشمس هنا تمثل السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والقمر يمثل أمير
المؤمنين (عليه السلام) أما الكواكب الأحد عشر تمثل الأئمة المعصومين
الأحد عشر من الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) إلى الإمام المهدي
(عليه السلام) ، إن مصدر الحياة ومصدر الفيض الإلهي هو الرسول
الأعظم (ﷺ تسليماً) وهو يمثل الشمس ، وفاطمة بضعة من الرسول كما
ورد عن رسول الله (ﷺ تسليماً) قوله : (ان فاطمة بضعة مني) (١٠٦) .

فلو أرجعنا كلمة (البعوضة) لتبين إنها آتية من البعضية والبعوض معناه
جزء من الكل وهو شبيه الكل أي بمعنى صورة مصغرة من الكل ، فالزهراء
(عليها السلام) هي أيضاً شمس وهي هنا تمثل الشمس في هذه الآية ،
والشمس علمياً هي أم الكواكب وتستمد منها الفيض والنور ، وقد ورد في
زيارة الإمام المهدي (عليه السلام) : (السلام عليك يا ابن الكواكب الزاهرة)
وجاء في قصة الإسراء والمعراج : (..... يا محمد تحب أن تراهم ؟ قلت :
نعم يا رب ، فقال لي : التفتت عن يمين العرش ، فالتفتت فإذا بعلي وفاطمة

١٠٤ - يوسف

١٠٥ - سبأ ٢٨

١٠٦ - وسائل الشيعة ج ٢ ص ٦٧

والحسن والحسين - إلى أن قال - والمهدي في ضحاح من نور قيام يصلون في وسطهم المهدي يضيء كأنه كوكب دري (.....) (١٠٧)، وقد ذكر رسول الله (ﷺ) تسليماً في اشرط الساعة ظهور الكوكب المذنب قبل ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) أو هو مرتبط بظهور الإمام ، فالإمام المهدي (عليه السلام) هو الكوكب الغائب ، وهذا إعجاز علمي لقضية الإمام المهدي (عليه السلام) ، فقد ذكر عبد الله بن عباس قال : حججنا مع رسول الله (ﷺ) تسليماً حجة الوداع فأخذ باب الكعبة ثم اقبل علينا بوجهه فقال : (إلا أخبركم بأشرط الساعة وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رض) فقال : بلى يا رسول الله ، فقال (ﷺ) تسليماً: (.... ويجفو الرجل والديه ويبر صديقه ويطلع الكوكب المذنب) .

فيوسف (عليه السلام) هنا يمثل محمد (ﷺ) تسليماً، لكون الدين الحقيقي الكامل هو دين محمد (ﷺ) تسليماً . وقد جاءت هذه الآية بعدها مباشرة والتي تذكر قول يعقوب في قوله تعالى : {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (١٠٨) ، فيعقوب أوصى يوسف بعدم البوح برؤياه لأخوته لأنه عرف إن يوسف سيكون نبي ، وانه اختير من المولى جل وعلا ليكون سفيراً عن محمد (ﷺ) تسليماً وهو مبعوث بالنبياة عنه (ﷺ) تسليماً وسيكون ممهداً له شأنه شأن الأنبياء الذين سبقوه ، وان أخوة يوسف هم عالمين بتأويل الرؤيا لذلك منعه يعقوب عن كشف هذه الرؤيا التي رآها حتى لا ينكشف الأمر ويعرفوا إن يوسف سيكون مبعوثاً وسفيراً عن محمد (ﷺ) تسليماً ، وهناك علاقة مترابطة بين الكواكب والإنسان ، وبزوال الكواكب تفسد الحياة وتتوقف .

١٠٧ - بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٩١

١٠٨ - يوسف ٥

قد يقول قائل بما إن الدين الإسلامي هو الدين الشامل الكامل فلماذا لم يبعثه الله تعالى على احد الأنبياء جملة واحدة في عصر من العصور وانقضى الأمر ؟ أقول : إن لكل نبي يبعثه الله تعالى دور ومهمة يقوم بها والمنسك والشريعة التي يعلمها لأهل زمانه هي حسب مستوى معرفتهم ومدى تقبلهم فكان نزول الأحكام والتشريعات على الأنبياء بالتدرج وحسب قابليات الناس في كل زمان على تقبل الحق وإرادة الله ففرى إن أول الشرائع التامة التي نزلت هي على يد نبي الله نوح وهكذا تدرجاً إلى أن يصل الحال إلى نزول الشريعة الخاتمة التامة فيكون الأنبياء في هذه الحالة يدعون للإسلام ويبشرون بالنبي الخاتم (ﷺ تسليماً) قال تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ١٠٩﴾.

وستجتمع هذه الأمم على يد الإمام المهدي (عليه السلام) الذي سيجمع كافة الديانات في الدين الإسلامي الواحد الشامل ، وهو الذي سيظهر الله عز وجل به دين الحق على الدين كله رغم أنوف الظالمين ذلك الدين القيم الداعي إلى التوحيد قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ١١٠﴾.

فالإمام المهدي (عليه السلام) هو جامع الكلمة على التقوى ، والقائم بقيامه يدعو الناس إلى الإسلام الجديد الذي قد دثر نتيجة لابتعاد الناس عن الدين الحق وحصول الضلالة فيهديهم القائم لهذا الأمر المضلول عنه .

فقد روى محمد بن عجلان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إذا قام القائم (عليه السلام) دعا الناس إلى الإسلام جديداً وهداهم إلى أمر قد دثر وضل

عنه الجمهور وإنما سمي القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمر مضلّول عنه وسمي القائم لقيامه بالحق) (١١١).

والقائم المهدي (عليه السلام) يسير بسيرة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) فيهدم ما قبله كما هدم رسول الله (ﷺ تسليماً) ما قبله فيستأنف الإسلام جديداً ، فقد جاء عن عبد الله بن عطا قال : سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) فقلت : (إذا قام القائم باي سيرة يسير في الناس ؟ فقال (عليه السلام): يهدم ما قبله كما صنع رسول الله (ﷺ تسليماً) ويستأنف الإسلام جديداً) (١١٢)

نظرية الوراثة... والقول في الجبر والتفويض

بعد كل ما قدمنا من بيان وافٍ لدور الوراثة سلباً أو ايجاباً على بني البشر وملامح الشخصية الفردية وأنعكاس ذلك على المستوى العائلي وحتى الاجتماعي ، لعل قائل يقول : إذا كان للوراثة هذا الدور الصارم والجوهري في تحديد وجهة واختيار الشخص من الناحية العقائدية على أقل التقادير لما لها من مدخلية في عاقبة المرء فهل يعني ذلك إن الإنسان مجبر على ما اتصف من خصال أو عمله من اعمال وتصرفات وكيف يمكن إن نفسر الاثابة على خير الاعمال والمعاقبة على سيئها.

وهذا الاشكال مشابه لما فهمه رجل من أهل العراق طرحه على أمير المؤمنين (عليه السلام) فعن علي ابن الحسين ابن علي (عليهما

١١١ - بحار الأنوار ج ١ ص ٣٠

١١٢ - غيبة النعماني

السلام) قال : (دخل رجل من أهل العراق على امير المؤمنين فقال : أخبرني عن خروجنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله تعالى وقدره ؟ فقال له امير المؤمنين (عليه السلام) : أجل يا شيخ ، فوالله ما علوتم تلة ولا هبطتم بطن وادٍ إلا بقضاءٍ من الله وقدره فقال الشيخ : عند الله احتسب عنائي يا امير المؤمنين ، فقال (عليه السلام) : مهلاً يا شيخ لعلك تظن قضاءً حتماً وقدرًا لا زماً ، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والامر والنهي والزجر وأسقط معنى الوعد والوعيد ولم تكن على المسيء لائمةً ولا لمحسنٍ مَحْمَدَهْ ولكن المحسن أولى بالائمة من المذنب والمذنب أولى بالإحسان من المحسن ، تلك مقالة عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الامة ومجوسها، يا شيخ إن الله تعالى كلف تخييراً ونهى تحذيراً واعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) (١١٣).

وروي أيضاً سمعت الرضا (عليه السلام) وقد سأله رجل : (أيكلف الله العباد ما لا يطيقون ؟ فقال : هو اعدل من ذلك ، قال أفيقرون على كل ما ارادوه ، قال : هم اعجز من ذلك) (١١٤).

وروي أيضاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله : (الأعمال على ثلاثة احوال فرايض وفضايل ومعاصي ، فأما الفرايض فبأمر الله وبرضاه وبقضاء الله وتقديره ومشيتيه وعلمه وأما الفضائل فليست بأمر الله ولكن برضاه الله وبقضاء الله وتقديره ومشيتيه وبعلمه ، واما المعاصي فليست بأمر الله ولكن بقدر الله وبعلمه ثم يعاقب عليها) (١١٥) **واعتقد سقطت من العبارة الاخيرة كلمة (ولا برضاه) بعد (بأمر الله) .**

١١٣ - عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٢٧

١١٤ - عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٢٩

١١٥ - عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٣٠ .

وأما قول الإمام الصادق (عليه السلام) لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين .

فهو مشهور ومعروف ، وأما حتمية قوانين الوراثة فهي جزء القضية المعبر عنها في الحديث (لا تفويض) فقدرة الإنسان أن يختار لنطفته الرحم الطاهر والمنبت الطيب هي الجزء الخاص به والذي يشار إليه (لا جبر) .
والإفريقي إن نوح (عليه السلام) لم يكن مقصراً في تربية ولده ولم يتهاون في اختيار الزوجة ولكنه لم يكن موفقاً في الاختيار وليس على المرء إن يكون موفقاً (وما توفيقى إلا بالله) ومثل ذلك يقال مع زوجة لوط (عليه السلام) وكذلك مع أبناء الأئمة الذين خرجوا عن طاعة الله وطاعة امام زمانهم (عليه السلام) .